أطراف الأرض ، ويقف لاصطياده كما يقف الصياد عند شاطئ فقير فى السمك .

وطبعى أن يصور الشعراء العباسيون بخلاءهم تصويراً مبدعاً فهم سألوا وحُرموا ، فأصابوا الذين حرموهم وتناولوهم بأفظع الصفات ؛ ولسنا هنا لندافع عن الذين حبسوا العطايا وسدوا الأبواب ، ولكننا نجدُ الهجاء فى غالبيته لهذا العصر مصطنعاً مُغرضاً متكلفاً ، لا يصف حقيقة الناس ، ولا يجعل الشعر فى مستوى الصدق كما كان فى بعض الشعر الجاهلى والإسلامى . ونحن إنما نعرض للهجاء على أنه فن سواء أصدق قائله أم كذب ، وما نسعى إلى معرفة الحقيقة التاريخية فيه ، ولكننا نتبين الأسلوب الذى طرقه الشاعر الهجاء ليس غير . ونريد أن نقول إن الشعراء فى بعض العصور العباسية لم يغضبوا للبخلاء على أنهم بخلاء ، ولكنهم غضبوا لأصحاب الجاه والثراء على أنهم منعوا أموالهم عن الشعراء المادحين القاصدين ، ولعلّ سبب هذا الشعر حرمان وخيبة ، وخاصة عند هؤلاء الذين يرجون نوالا ويعودون بخفّىْ حُنين .

فقد قال أبو تمام مصرّحاً بطلبه ، وهجا حين خاب فى مسعاه :

أعملتُ فيكَ قصائدى ووَسائلى ... فحرَمتنى فلبئس أجرُ العامل
ما خلفتْ حواءُ أحمقَ لحيةً ... من سائل يَرجوُ الغنى من سائل

فتصوّرْ هذا الشاعرَ يطلبُ غنى ، فإذا رفض العطاء جعله مثله سائلا فقيراً ! ولو كان كذلك لما أنشد فيه قصائده وبذل فيه وسائله ، ولكنه بكى ضياع شعره ؛ وخسارة القول فيه بعد الإلحاح فى الطلب ، وقال فى موضع آخر يُبين عن هذا الغلّ فى صدره لمن بَخس شعره حقه ولم ينقده ثمنه :

يا عذارى الكلام صرْتن من بَعْ ... دى سَبايا تُبعن فى الأعراب
عبقات بالسمع تبدى وجوهاً ... كوجوه الكواعب الأتراب

فهو يأسفُ لشعره يُباع فى الأعراب الذين لا يفقهون مكانه ولا يعرفون له وزناً فلا يقدرونه حقّ قدره . وهو كلام جميل مبتكر أشبه ما يكون بالعذارى والكواعب الأتراب ، ويلحّ الشاعر على هذا المعنى فى هجاء صالح الهاشمى :